الطول بشكل كامل مثل حلول الظلام ، واعطى القيادة السياسية — وهذا هو اهم ما في الامر — الوقت الكافي لاستخدام سلاحها الدبلوماسي الى ابعد مدى . ولقد ذكر وزير الخارجية اللبناني خليل ابو حمد امام السفراء العرب في يوم ١٨ ايلول بانه لولا بسالة الجيش في التصدي للعدوان لما نجحت الضغوط السياسية التي حملت اسرائيل على التوقف والانسحاب ، وقال في معرض حديثه : « الحقيقة يجب ان تقال بأن الضغط على الدول الصديقة لم يكن ليأتي بهذه النتيجة الايجابية لولا الموقف الشجاع والجريء الذي اتخذه الجيش عندما تصدى بكل قوة لهذا العدوان»(١٠).

٣ — طبيعة الارض : يرتبط عامل طبيعة الارض ارتباطا وثيقا بحجم القوات المدافعة وخطتها ومدى استعدادها للقتال . ولقد كان على القوات الاسرائيلية التي وصلت الى قانا وجويا ان تقطع حوالي ٢٠ كيلو مترا قبل ان تصل الى البحر ، وتغلق الطوق ، وتحصر قوات الجيش اللبناني المتمركزة في القطاع الغربي وقوات جيش التحرير والميليشيا المتمركزة في الرشيدية . ولكن طبيعة الارض في منطقة رأس الناقورة — دير قانون — عين بعل — البزورية — طير دبه — صور ، ومرور الطرقات في هذه المنطقة عبر اراض مشجرة صالحة لاخفاء الرجال والمعدات ، وشق الغارات ونصب الكمائن ، وتجمع قوات المقاومة في هذه المنطقة بعد انسحابها من القطاع الاوسط اثر معارك قاتلت فيها وفق تكتيكات حرب العصابات ، وبشكل جعل الضربة الاسرائيلية « تقع في فراغ »(١١) جعل القوات الاسرائيلية تقدر طبيعة المقاومة الشرسة اليائسة التي يحتمل ان تلاقيها ، وتحجم بالتالي عن متابعة التقدم ليلا نحو الغرب بدون دعم الطيران الذي تبقى امكانات دعمه الليلي محدودة رغم قدرته على اضاءة ساحة المعركة الى حد ما . ولا يمكن تقييم نجاح العملية وفشلها بالنظر لما حققته من دمار وخسائر وما تعرضت اليه من ضربات . والتقييم الحقيقي لا يتم الا ضمن اطار تحديد هدف العملية . فان كانت عملية تستهدف الاحتلال والضغط فهي عملية ناجحة تكتيكيا وسط فشل على صعيد السياسة والاستراتيجية العليا دون ان يمنعها هذا الفشل من محاولة تحقيق كسب استراتيجي مهما صغر . وان كانت عملية « ردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » فهي عملية ناجحة تكتيكيا ، وتنتظر قطف ثمارها الاستراتيجية والسياسية . ومهما يكن من امر ، وسواء توقفت العملية لان توقفها جزء من الخطة ، أم توقفت بسبب العوامل السياسية — العسكرية — الطبوغرافية فان « الردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » والذي حاول التظاهر بانه عملية « تمشيط وتطهير » كان يخفي وراء هدفه المعلن اهدافا اخرى . وتذكر صحيفة النهار بأن الاوساط الاسرائيلية المطلعة حددت « ان الهدف الاساسي من الهجوم هو ارغام السلطات اللبنانية على الغاء اتفاقية القاهرة رسميا او عمليا »(١٢). ويمكننا ان نتصور ابعاد الردع الذي تتوخاه هذه الاوساط عندما نرى انها لا تكتفي بالحديث عن قواعد المقاومة الموجودة قرب الحدود اللبنانية — الاسرائيلية او في مناطق الجنوب ، بل تتحدث عن وجود « خمسة الاف فدائي في لبنان »(١٣) وتعتبر ان بيروت هي « المركز السياسي والاداري لكل المنظمات الفلسطينية المتطرفة »(١٤) وان مخيمات اللاجئين في لبنان هي « مراكز تجميع الاعضاء الجدد في المنظمات الفدائية وتدريبهم . وفي هذه المخيمات مستودعات ذخيرة . ومن هذه المخيمات ينطلق الفدائيون للقيام بعمليات ضد اسرائيل وضد المصالح والشخصيات الاسرائيلية في الخارج »(١٥). ان الفهم الكامل لعملية ١٦ — ١٧ ايلول وتحديد خلفياتها وابعادها ومراميها واحتمالات تكرارها امر مرتبط كل الارتباط بوعي منطلقات الاسلوب الاسرائيلي الذي يعتمد في مجابهة حركة المقاومة العاملة خارج الارض المحتلة على « تناوب الردع والعمل » ، و « تناوب الضغط السياسي والضغط العسكري » ، ويطبق مجموعة القواعد التالية (التي سنبحثها بشكل مفصل واسع في دراسة خاصة عن الردع والعمل في الاستراتيجية الاسرائيلية) وهي :

١ — « الرد المرن » : الذي يستخدم كل الاساليب الممكنة لتسديد الضربات ، دون البقاء ضمن اطار رد جامد تقليدي او غير تقليدي .

٢ — « الرد الاعنف » : وذلك بتصعيد العنف ، والرد على ضربات المقاومة بضربات اعنف تستهدف قواعد المقاومة — لردع المقاومة ماديا ، كما تستهدف المدنيين من سكان المخيمات — لردع المقاومة معنويا .

٣ — « الرد المتواصل » : ويتم بتسديد الضربات بصورة متلاحقة للرد على ضربة ما ، او لمتابعة